منظومة التفكير المستقبلي وتأصيل الرؤية الإسلامية
مالك بن نبي نموذجا

إعداد

أ.د/ عبد القادر بخوش

رئيس قسم العقيدة والدعوة ـ جامعة قطر

تاريخ الاستلام :٢٥/ ٣/٢٠٢٠م

تاريخ القبول : ١٠ /٥ /٢٠٢٠م

ملخص:

هذه الدراسة التقييمية تهدف إلى بيان أهمية المستقبل في المشروع النهضوي الحضاري في الفكر الإسلامي المعاصر؛ بغية معرفة حضور فكرة المستقبل في الفكر الإسلامي المعاصر، من أجل تحديد الطريق التي تؤدي إلى بناء الرؤية الإسلامية المشكلة للدراسات المستقبلية.

لا يستطيع الباحث في الحديث عن الفكر الإسلامي المعاصر، أن يتجاوز رائد الفكر النهضوي المعاصر، وفيلسوف الحضارة، وأحد أهم المشتغلين بالقضايا المستقبلية، على أسس من العلم العميق والمنهج الدقيق، هو مالك بن نبي رحمه الله، فلم تخل مؤلفاته ومحاضراته في التمدن الحضاري، من الإشارة إلى المستقبل واستثماره، وقدّم تصورات مستقبلية، ورؤى استراتيجية جديرة بالاهتمام والدراسة.

انطلاقا مما تقدم، سوف تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما هي نصوص مالك بن نبي المتعلقة بالمستقبليات الظاهرة والباطنة؟
- كيف يمكن تقييم تنبؤاته وإشراقاته المستقبلية ؟
- هل يملك مالك بن نبي خريطة واضحة لمسار ومستقبل العالم الإسلامي؟ وكيف كان يرى وجهة مستقبله ؟
- وكيف يمكن أن تؤسس مقولاته المستقبلية في تأسيس علم المستقبليات في العالم الإسلامي؟

Abstract

This evaluative study aims to show the importance of future thinking in the civilizational renaissance project within contemporary Islamic thought. It does so in order to search for this future thinking concept within modern Islamic thought, as well as to determine the path that leads to building the Islamic vision for Futures Studies.

The paper focuses on the works of one of the pioneers of contemporary Islamic thought, Malik bin Nabi. Malik Ibn Nabi constantly refers to “the future” in his works, providing his readers with future perspectives and interesting strategic insights.

Based on the above, this study will attempt to answer the following questions:

- What are the texts produced by Malik bin Nabi that relate to the future?
- How may we evaluate his predictions of the future?
- Did Malik Bin Nabi provide a clear roadmap to the future of the Islamic world?
- Where did he predict the direction of the Muslim world going? How may his statements regarding the future be utilized to establish the science of futurology in the Islamic world?

مقدمة:

تروم هذه الدراسة التقييمية مقاربة سؤال المستقبل في المشروع النهضوي الحضاري في الفكر الإسلامي المعاصر، وملامسة عنصرًا أساسيًا، ظلّ مفقودًا بالكامل في الأدبيات التي اعتنت بالنهوض الحضاري الإسلامي؛ بغية معرفة حضور فكرة المستقبل في الفكر الإسلامي المعاصر؛ من أجل تحديد الطريق، التي تُفضي نحو بناء الرؤية الإسلامية المشكلة للدراسات المستقبلية.

لقد بات من المألوف والغالب عند المستشرقين[1]، وشايعهم في ذلك بعضُ الباحثين الحداثيين العرب، ربط المشاريع النهضوية في الفكر الإسلامي المعاصر بالفكر الماضوي؛ لأن أغلب رواد هذا الاتجاه، ظلوا أسرى للتراث يستلهمونه كله، فهم مشدودون إليه بإحكام، ولم تنجح دعواتهم، رغم صدق لهجة بعضه، تحقيق النهضة الحضارية المنشودة.

لا يستطيع الباحث في التأسيس لهذه المقاربة في الفكر الإسلامي المعاصر، وبيان صدق مدعيها من بطلانها، أن يتجاوز رائد الفكر النهضوي المعاصر مالك بن نبي وأطروحاته، التي تؤكد علو كعبه، ورفعة قدره لا يضاهيه أحد عليها، فلم تخل مؤلفاته ومحاضراته في التمدن الحضاري، من الإشارة إلى المستقبل واستثماره، وأسدى تصورات مستقبلية، ورؤى استراتيجية، جديرة بالاهتمام والدراسة، بعد أن توضع على محك النقد التاريخي، والابستيمولوجي الحديث .

انطلاقا مما تقدم، سوف تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ماهي مقولات مالك بن نبي المتعلقة بالمستقبليات الظاهرة والباطنة؟
- كيف يمكن تقييم تنبؤاته وإشراقاته المستقبلية ؟

- هل يملك مالك بن نبي خريطة واضحة لمسار ومستقبل العالم الإسلامي؟
- وكيف كان يرى وجهة مستقبله ؟

إن الإجابة عن الإشكالات المتفرعة عن سؤال المستقبل في مقاربة النهوض الحضاري عند مالك بن نبي رحمه الله، من خلال استنطاق رؤاه واستشرافاته المستقبلية؛ تستدعي مقاربة الموضوع، وفق المباحث التالية:

المبحث الأول: المبررات المنهجية لدراسة المستقبليات عند مالك بن نبي.

المبحث الثاني: استشرافات مستقبلية رؤية تقييمية.

خاتمة: أضمنها أهم نتائج البحث، متوجة بتوصية أخيرة.

اتخذت الدراسة من المنهج التحليلي النقدي وسيلة للكشف عن الخريطة المستقبلية في الخطاب النهضوي لمالك بن نبي، والوقوف عند أهم إشراقاته وتنبؤاته المستقبلية، وتتبع مدى تحققها. واستعانت الدراسة بالمنهج المقارن للوقوف على بعض الشخصيات الفكرية الغربية، التي اعتنت بالدراسات المستقبيلية، وخلفت نظريات أثيرة حول مستقبل العالم، تُفيد في تنوير الموضوع وتوسيعه، وتحليل مضامين المادة، وتعليل قضاياها واختياراتها، وتأصيل أحكامها.

وتظهر أهمية الدراسة، في أنها محاولة، تنحو نحو سبر أغوار المشروع النهضوي الحضاري لمالك بن نبي، والحفر في مقولاته والنبش في نصوصه؛ لنفض الغبار عن رهان المستقبل الذي رصّع به مشروعه الحضاري، والذي- وللأسف- لم يحظ بالقدر الكافي من الاهتمام البحثي بفكر مالك بن نبي، وهي دعوة إلى استنهاض الهمم، واستثارة العقول، بالعناية بالدراسات المستقبلية في عالم إسلامي حظه فيه يسير.

المبحث الأول: المبررات المنهجية لدراسة المستقبل عند مالك بن نبي:

أولا- استبصار المستقبل عمل أصيل في التراث الإسلامي :

إن استبصار المستقبل ليس علماً جديدا، بل هو نزوع فطري قديم في الإنسان، فمن مهام بعث الأنبياء عليهم السلام إلى الخلق، هي تقديم رؤية عن أمور غيبية مستقبلا، فهذا سيدنا يوسف عليه السلام تنبأ بالسنين السبع العجاف، فبسط عليه السلام لقومه رؤية متكاملة؛ لمجابهة وطأة الجفاف المتوقعة، وتجاوز آثارها السلبية. وقد عهد إليه الملك تنفيذها، فنجحت مصر في الخروج من محنة الجفاف والسنوات العجاف.

إن آيات القرآن الكريم زاخرة بالدعوة إلى استشراف المستقبل، ووجوب التخطيط له، فهذا نبي الله نوح عليه السلام، مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله، وعندما شعر بسداد حكمته ونفاذ بصيرته، أن لا فائدة تُرجى منهم، دعا على قومه قائلاً: (إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً)[٢].

ومن صور الإعجاز البياني في القرآن الكريم، التعبير بالماضي ثم المضارع؛ ليلفت النظر إلى أن قدر الله آت لا محالة، فالأفعال في القرآن الكريم، في معظمها تدل على الاستقبال، يتفكّرون، يتذكّرون.

وإلى جانب القرآن الكريم، تحتفظ السنة الشريفة بأمثلة زاخرة، للتخطيط واعتبار المستقبل، وإن سيرة الرسول صلى الله قائمة على التخطيط للمستقبل، ورفض العفوية في التفكير، فلقد كان صلى الله عليه وسلم يَعُدُّ لكل أمر عدته، ويستحضر له أسبابه وأُهبَته، ولعل غزوات الرسول والخطط المدروسة لها، دليل ساطع على استشراف الرسول للمستقبل، والتخطيط المنظم، مع التوكل الحق على الله تعالى.

كما أن حديث القصعة، فيه إشارة هامة إلى مستقبل الحضارة الإسلامية، قال عليه الصلاة والسلام: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها)[٣]. وهذا الحديث يأتي في سياق أحاديث الفتن والملاحم، والتي اعتنت بالحديث عن المخاطر المستقبلية التي تتعرض إليها الأمة الإسلامية. هذا الحديث وإن كان يشير إلى العلة وأسباب المرض، فإنه كذلك يشير– بطريقة ضمنية ومعنوية– إلى طريق العلاج، وهو دعوة صريحة لتوجيه المستقبل والتخطيط له؛ بغية تجنب التحذير النبوي.

يقول رشيد رضا: (إن النبي، عليه الصلاة والسلام لم يخبر أمته بما سيقع فيها من التفرق والشيع، وركوب سنن أهل الكتاب في الأحداث والبدع، وبغير ذلك من أخبار الفتن الخاصة بهم والمشتركة بينهم وبين الأمم، إلا لأجل أن يكونوا على بصيرة في مقاومة ضرها واتقاء تفاقم شرها، لا لأجل أن يتعمدوا إثارة تلك الفتن والاصطلاء بنارها، والافتراق لأوزارها).[٤]

والأمثلة كثيرة جدًا، عن الدعوة للقراءة المستقبلية في القرآن الكريم والسنة النبوية، مالا يتسع المقام لبسطه، كما لم تكن موضوعات الدراسات المستقبلية غائبة عن نظر علماء المسلمين في العصور الأولى، وإن لم يدونوها في كتاب مستقل، فاجتهادات علماء التراث الإسلامي حاضرة في الحديث عن المستقبل، واتخذت لها أنساقا أثرت التراث الإسلامي.

انعكس الاهتمام الإسلامي بالمستقبل، في التأسيس لمبدأ عظيم في علم أصول الفقه، اصطلح الأصوليون على تسميته باعتبار المآلات، وهو الذي يُعول عليه في سبيل تفعيل أحكام الشريعة، وتنزيلها في الأمور المستجدة والمتوقعة ؛ ولذا كان النظر في المآلات من أهم أعمال المجتهد، وعبر عنه الشَّاطبي بأنه: "مجال للمجتهد صعب المورد، إلا أنه عَذْب المذاق، محمود الغِبِّ، جارٍ على مقاصد الشريعة[٥]."

فإذًا، النظر في مآلات الأفعال، معتبَرٌ ومقصود شرعًا، سواء كانت هذه الأفعال موافقة للشرع أو مخالفة، فعلى المجتهد قبْل أن يصدر حكما على فعل من أفعال المكلفين، أن يبسط النظر إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل؛ فلا يكتفى في إصدار الحكم بالنظر لمصلحة فيه أو ممنوع لمفسدة ، ولكن قد يكون له مآل على خلاف ذلك؛ فإطلاق القول في الأول بالمشروعية دون نظر إلى مآله، وفي الثاني بالمنع دون نظر إلى مآله، لا يوافق مقصد الشريعة؛ إذ قد يؤدي الفعل الأول إلى مفسدة مساوية، أو زائدة على المصلحة التي بدت فيه في بادئ الأمر، وكذلك الفعل الآخر فقد يؤدي إلى دفع مفسدة مساوية أو زائدة(٦).

وهذا هو الشَّاطبي يحدثنا عن كيفية النظر إلى المآل في هذه الحالة، فيقول: "وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحت في ميزانها، فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤدِّ ذكرها إلى مفسدة فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها، إما على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غيرَ لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ، فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية(٧)".

والنظر في المآل هو صفة خاصة لا تتحصل إلا للعالم الراسخ في العلم، وهو العالم الرباني الحكيم، فذلك بحقٍّ من خصائصه المتعلقة به.

ويبدو أن هناك توجها مكملا لما سبق، ينساب في نسق الكتابات الفقهية والكلامية، والتي تنحو نحو تشخيص الأزمات وطرائق كشفها، استشرافاً لواقع جديد ومستقبل أفضل، منها كتاب الغياثى للإمام الجوينى، بأنه بعد أن بسط القول في مسألة الحكم ووظائف الدولة، افترض حالتين يمكن أن تقعا للأمة الإسلامية؛ حالة عدم وجود إمام للمسلمين، و حالة عدم وجود الأئمة المجتهدين أو المفتين الموثوقين ناقلي المذهب؛ فيتساءل عن كيفية حال المسلمين، وكيف يتصرفون؟ ولم

تكن آراؤه ضربا من الأوهام والهوس والظنون، بل كانت آراؤه مبنية على أسس سليمة من التجريب والملاحظة والنظر في واقع المسلمين في عصره، يقول: "إني وضعت هذا الكتاب لأمر عظيم، فإني تخيلت الشريعة وانقراض حملتها، وعاينت في عهدي الأئمة ينقرضون ولا يخلفون، والمتسمون بالطلب يرضون بالاستطراف[٨]".

ويذكر في هذا المقام المؤرخ المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، واهتمامه بكشف الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، والتي تمثلت في مجاعات ومظاهر فساد طالت مصر، ومحاولاته المضنية في تقديم رؤى استراتيجية ودراسات مستقبلية للخروج منها. وتجلى ذلك في مؤلفات أو رسائل متخصصة؛ أهمها، كتاب "إغاثة الأمة بكشف الغمة"، وكتاب "الأوزان والأكيال الشرعية"، وكتاب "شذور العقود في ذكر النقود".

وهناك نسق، خطَّ طريقَه في التراث الإسلامي، اتجه إلى المقارنة بين واقع واقتراح واقع جديد، ونلمس هذا النسق ما خطه المعلم الثاني الفيلسوف (ت ٣٣٩هـ) في المدينة الفاضلة؛ بحيث تتراءى الرؤيا المستقبلية المنشودة لمجتمع إسلامي نموذجي.

إن الحديث عن المستقبل والعناية به أصيل في الفكر الإسلامي؛ فمن فوائد علم العمران عند العالم الموسوعي ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، أنه يعرِّفنا بما هو واقع ومنتظَر؛ فالذي يتقن هذا العلم برأي ابن خلدون، يمكن أن تفتح له آراء استشرافية.

ولا يخفى ما للقرآن الكريم من أثر في ابن خلدون وغيره من المفكرين المسلمين، في استنهاض همهم في الاهتمام بالدراسات المستقبلية، فقد نهلوا من معينه الذي لا ينضب، وأثرُ ذلك في مؤلفاتهم واضح العيان.

ويأتي ابن خلدون؛ ليتوج هذه الدراسات المستقبلية في مشروعه الحضاري المتكامل، حينما يجمع بين علوم التاريخ والعمران والسياسة، في استبصار الحدث التاريخي؛ عن طريق تحليله واستشراف مساراته وتوجهاته. فابن خلدون يقدم في هذه الرؤية ذات الخطوات الثلاث؛ تنطلق من دراسة الحالة التاريخية، ثم الانتقال إلى تحليلها؛ لتنتهي إلى التقويم والاستشراف.

يمكن تسجيل الوعي الجاد في استشراف المستقبل من نص ابن خلدون، لحقيقة التغيير في أحداث التاريخ: (إن أحوال الأمم العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم، لا تدوم على وتيرة واحدة، ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة، وانتقال من حال إلى حال. التاريخ يتغير باستمرار وليس تكرارا رتيبا، ومن أكبر الأخطاء المعرفة التاريخية الذهول عن هذه الحقيقة، التي تصيب الأفراد كما تصيب الجامعات والأمم[٩]).

ويقول أيضا: (إن أردت أن تأمرهم بأمر، فانظر في عواقب ما أردت من ذلك، فإن رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فأمضه، وإلا فتوقف عنه وراجع أهل البصر والعلم به، ثم خذ فيه عدته، فإنه ربما نظر الرجل في أمره وقدره وأتاه على ما يهوى، فأغواه ذلك وأعجبه، فإن لم ينظر في عواقبه أهلكه)[١٠].

ويمكن القول بالرغم من أنّ الدراسات المستقبلية أصيلة في الفكر الإسلام، إلا أّن هذا لا ينعكس على واقع الفكر الإسلامي المعاصر. إن ندرة المؤسسات والدوريات المتخصصة في الدراسات المستقبلية في عالمنا الإسلامي، تشهد على أن العالم الإسلامي غير مهتم بشكل جدي وعملي بهذا الحقل المعرف، في مقابل التكاثر الهائل لتلك المراكز في الغرب المعاصر[١١].

ثانيًا ـ الدراسات المستقبلية وأهمية استحضار استشرافات مالك بن نبي:

إن الدراسات المستقبلية ليست ترفا فكريا، ولا ضربا من ضروب التخمين، وإنما هي معرفة علمية، ونزوع فكري لاستكشاف المستقبل من أجل تحسين الوضع الإنساني(١٢).

برز علمُ المستقبل أو الدراسات المستقبلية في الغرب المعاصر في خضم تراكم معرفي هام في حقل البحث، له صلة بعالم الغد في سياق آفاق التنمية. وأخذت الدراسات المستقبلية بعد الحرب العالمية الثانية تتدعم وتتعزز في إطار مؤسساتي منظم في منظمات ومؤسسات أمريكية، ومع أن للمدرسة الفرنسية إسهامها الوافر، لكن المدرسة الأمريكية ظلت رائدة من خلال ما يسمى بخزنات الأفكار، والتي تعمد إلى توظيف المستقبلية في السياسة الخارجية؛ للمحافظة على مصالحها الاستراتيجية، وأن يتعزز دورها في عملية صنع القرارات ورسم استراتيجيات؛ بغية الهيمنة والسيطرة، سواء على مستوى الدول أو على مستوى مؤسسات وشركات ومنظمات(١٣).

ومع بداية القرن العشرين بدأ البحث المستقبلي يأخذ طابعًا علميًا، في عام ١٩٤٣ عرف بداية اصطلاح حقل علمي جديد اطلق عليه اسم علم المستقبل FUTUROLOGY أتى ضمن أعمال أوسيب فلشتهايم Ossip.k.Felchtheim، وتعد آراء برترانددي جوفتيل B.DE JOUVENELعام ١٩٦٤ كتابه في التخمين المستقبلي The art of conjecture نقطة تحول كبير في مجال الدراسات المستقبلية، حيث يمثل همزة وصل بين تلافي أخطاء الماضي ومشكلات الحاضر وتنقية المستقبل من كثير المعوقات، التي تعترض القدرات الإنسانية وإبداعاتها(١٤).

وأضحى علم المستقبل: (Futurology) علما يهدف إلى توقع الأحداث القادمة ورصدها ومحاولة التأثير فيها، وتطوير طرائق أفضل للتفكير في عالم الغد،

وأفضى المستقبل ينم عن أطياف متعددة، كالمستقبل المستحيل والممكن والمحتمل والمفضل أو المرغوب فيه وغير المرغوب فيه والغير متوقع وغير المفكر فيه، وأضحى المستقبل مجالا للحرية والقوة والإرادة.[١٥]

لقد نشطت في الغرب العديد من المراكز التي تُعنى بشؤون المستقبل وقضاياه، كما طغت على السطح الكثير من الدراسات التي تتناول قضايا المستقبل، كما برزت العديد من المجلات الرصينة والمتخصصة التي ترصد قضايا المستقبل ومعالمه.

وبدأ هذا النوع من الدراسات، يشق طريقه، ويكاد يكتسح الدراسات الإنسانية برمتها، ويجذب إليه الباحثين الاستراتيجيين ويلقى صدى أكبر في المراكز الفكرية ذات السمعة الدولية؛ وبخاصة في ظل استراتيجية الدول، بالاعتناء به، وتوفير الدعم المالي الضخم؛ لانشغالها بوضعها المستقبلي القريب والمتوسط والبعيد.

وهكذا يتم الحديث عن أمريكا سنة ٢٠٣٠ والصين ٢٠٣٠ وماليزيا ٢٠٢٠ وبريطانيا وفرنسا والهند والسعودية وقطر.

ومع تزايد وتفاقم الاهتمام الغربي بالدراسات المستقبليه، وامدادها بدعم مالي ضخم، نجد بالمقابل في العالم الإسلامي عزوفا صارخا عن الاهتمام بهذا المجال الدراسي الحيوي، ولا نكاد نعثر إلا على جهود فردية وكتابات محتشمة.

ومما يؤسف له، أن هذا لا يسهم في غياب رسم رؤية ثاقبة لشؤون المستقبل وما يرتبط به، من قضايا وأبعاد؛ سواء على مستوى الدول أو الأفراد فحسب، بل إنه يُعطي الآخر الغربي الحق في أن يفكر ويرسم مستقبلنا كما يريد؛ ولذلك أضحى العالم العربي الاسلامي، مادة وموضوعا دسما في الدراسات الاستشرافية المستقبلية.

ومن هنا تبدو الحاجة، شديدة ملحة في الفكر الإسلامي المعاصر؛ للانعتاق من الهيمنة والسيطرة الغربية على الدراسات المستقبلية، فالاهتمام بالمستقبل ليس ترفا فكريا، إنّ المهمة الكبرى للفكر الإسلامي، هي استكشاف رؤية استراتيجية إسلامية استشرافية للمستقبل، كعملية شاملة واعية وحركة مستمرة ونقدية.

ولا يمكن أن يحصل ذلك إلا من خلال تقصي عميق للدراسات المستقبلية في التراث الإسلامي واستيعابه، وكذلك الاطلاع الدقيق على الحقائق ومعطيات الدراسات المستقبلية المعاصرة بكافة إمكاناتها وتعقيداتها.

إن التحدي الأكبر الذي واجهه الفكر الإسلامي المعاصر، يتمثل في تقديم الإجابة عن التحديات الفكرية المستجدة، مع بروز هيمنة الحضارية الغربية في مختلف المجالات، وإذا كانت أغلب اتجاهات الفكر الإسلامي، لم تأخذ الأمر بجدية في مواجهة هذه التحديات، وأن تحاول أن تبسط البدائل لها، وإنما اتخذت موقفا معاديا ومرفوضا [١٦].

أمام هذا الوضع غير الناضج في التعامل مع القضايا الاستراتيجية، والتراجع الحضاري لما ينتجه من علوم ومعارف، والذي خلف قصورا منهجيا صارخا، زاد في تخلف الأمة وانحدارها، باتت مشكلات المجتمع الإسلامي بحاجة إلى مفكرين مسلمين من النظار و الاستراتيجيين؛ الذين بإمكانهم أن يضعوا خططا استراتيجية شاملة، وحلولا مثلى لجميع التحديات.

برزت ثلة من العلماء والمفكرين المسلمين المعاصرين، استشعروا ووعوا منذ البداية جدية التحديات المستقبلية؛ وبخاصة تلك التي يقدمها الغرب ومشروعه الحضاري، فعكفوا على دراستها، وإدراكها من أجل استيعابها؛ ليُتخذ موقف واعي

وبناء، ويأتي في طليعة هؤلاء **محمد إقبال** و**مالك بن نبي** و**الفاروقي** و**عبد الوهاب المسيري**، وهكذا بدأ يبرز تيار جديد في الفكر الإسلامي المعاصر، راح يستشف جوهر الأزمة، وليس أعراضها.

تيار شامل له حضوره المميز في الفكر الإسلامي المعاصر، لا يقع في النظرة التجزيئية للمسائل والتشتت الذري بتعبير مالك بن نبي، والعناية بها على حساب الأصول، والشكليات على حساب المضامين، وتبني نظرية متكاملة وشاملة. إنه خطاب تجديد غير مجزأ ينطلق من اعتبار الإسلام مشروعا حضاريا متكاملا لا يخص بيئة مكانية ولا ظرفا زمانيا ولا جنسا بعينه.

تميز هذا الخطاب في تبنيه لأدبيات الدين الأساسية، إلى جانب عدم تجاوز المعارف الإنسانية القيمية، والدعوة إلى الاستفادة منها وتقديم الرؤية الإسلامية الأصيلة لها.

هذا التفكير الاستراتيجي، سواء على مستوى منهج التحليل أو على مستوى المعالجة و تقديم البدائل، هذا ما عبر عنه الأستاذ **مالك بن نبي** في قوله: إن روح عصر ما بعد الموحدين، المصابة بالذرية **Atomisme** لا تسلك سبيل التكامل بانتهاج التركيب المتآلف synthese [١٧].

يبرز هذا المعنى أكثر وضوحا عند الأستاذ **مالك بن نبي** في اعتقاده الراسخ على أن (مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته، ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبنى الحضارات أو تهدمها) [١٨].

درج أغلبُ الباحثين على اعتبار **مالك بن نبي** بمثابة ابن خلدون العصر الحديث، وأبرز مفكر أولى عناية فائقة بالفكر الحضاري والاستراتيجي الإسلامي منذ **ابن خلدون**، فهو من أرسى قواعد مدرسة التفكير الاستراتيجي في الفكر الإسلامي المعاصر، حيث انفرد عن أقرانه من المصلحين، ليس لأنه درس مشكلات الأمة الإسلامية انطلاقا من رؤية حضارية شاملة ومتكاملة فقط، بل لأن جهوده انكبت على تحليل مستقبل ومسار الفكر الإسلامي في ظل دراساته المتميزة للمشكلات الحضارية عموما.

وصبّ مالك بن نبي عنايته في شروط النهضة و استشراف المستقبل، وفق منهج قويم ومسار رشيد على أساس من العلم الرصين والمعرفة ؛ ولاريب في أن عبقريته تفتقت عن أفكار جديدة وجليلة، لم تكن مألوفة من قبل؛ ناتجة عن تفتحه على علوم عصره ومواكبة لتطورات العلوم الإنسانية والاجتماعية؛ لذلك اعتبر بأنه أول باحث حاول أن يحدد أبعاد المشكلة على أساس من علم النفس والاجتماع وسنة التاريخ، ويؤسس لها حلولا ناجعة برؤية استشرافية ثاقبة[١٩]، وبهذا كان مشروعه الحضاري متفرد الملامح ومتميزا أشد التميز عن مفكري جيله.

إن استشراف مالك بن نبي للمستقبل، والتنبؤ به، وما سوف يفضي إليه العالم الإسلامي من أحداث ورؤى، بلغ من الثراء أوجه، و إن لم ينل حظه من الاهتمام في العالم الإسلامي.

وحضور المستقبل عند مالك يعد محورا أساسيا في منظومته الإصلاحية؛ من أجل الارتقاء بالإنسان المسلم من التأخر إلى التقدم، وإنّ اهتمامه بالمستقبل ليس نفيا للماضي، فالذي يستوعب حاضره يهيئ لمستقبله بقدر ما يستوعب توظيف ماضية.

المبحث الثاني: استشرافات مالك بن نبي المستقبلية رؤية تقييمية.

تزداد أهمية الاهتمام بمالك بن نبي في بنظرته إلى المستقبل ومحاولة استشرافه والتنبؤ؛ لصدق بعض توقعاته، مِمَّا ينم عن نفاذ بصيرته في دراسة واقع العالم ومستقبله. لقد تعددت استشرافات مالك بن نبي وتنوعت، إلا أن المقام لا يسعنا لاسترسالها جميعا، وحسبنا بذكر أهمها كما يلي:

أولاً- استشراف النهضة الإسلامية الأسيوية:

أولى مالك بن نبي عناية فائقة بالحديث عن طبيعة المجتمعات والأعراق، واهتم بقضايا المجتمع، وبيان أسباب نشأته وعوامل اندثاره، لقد تنبأ بالدور الريادي الذي يمكن أن يضطلع به المسلم الأسيوي، فألمح إلى انتقال مركز التأثير الإسلامي من العالم العربي إلى العالم الأسيوي؛ تبعا لبروز مؤشرات أولية لانتقال الحيوية والتأثير في العالم من الحوض المتوسط إلى آسيا، ويرى مالك بأنها ظاهرة عالمية وطبيعية، أن يصبح العالم الإسلامي خاضعا لجاكارتا، كما كان خاضعا من قبل لجاذبية القاهرة أو دمشق، وهذا الانتقال إلى مرحلة أسيوية، لابد أن يحدث نتائج نفسية وثقافية وأخلاقية واجتماعية وسياسية، ستتحكم في حركته وفي مستقبله، وفي تشكيل الإدارة الجماعية[٢٠]، وتسجل تحرر العالم الإسلامي من معوقاته وقيوده الداخلية، وهذا الاتجاه واضح في باكستان ،كما أنه واضح في جاوة (اندونيسي) وهي بلاد عاش فيها الإسلام منذ عهد قريب جدا[٢١].

أرجع مالك بن نبي هذا التحول إلى عاملين أساسيين؛ أولهما أن المجتمعات الأسيوية حديثة العهد بالإسلام، حيث أنها لم تشهد تجربة دينية منسجمة من قبل، باعتبار أن الديانات التي كانت تعتنقها ديانات وضعية، ارتبطت بالدجل والخرافات، فلم يكن لها أثر في نفوس هذه الشعوب، ولم تترك سلطة عقائدية، تقوم على أسس دينية هذا من جهة، ومن جهة أخرى عامل الانتقال

الحضاري في مستواه العالمي؛ لانتقال مركز التأثير من حوض البحر الأبيض المتوسط إلى آسيا.(٢٢)

فتنبأ مالك بن نبي لما يحدث، بأن له علاقة بالتوهج الاقتصادي الحاصل في بلاد النمور الآسيوية، والتي وجدت لها مكانا في صفوف الدول المتقدمة، والذي تمثل تأثيره في النهضة الماليزية الحديثة، حيث أرسى رئيس الوزراء محمد مهاتير منظومة من القيم، حملت مبادئ التنشئة التنموية والاجتماعية والسياسية على الأسس التغييرية التي التقى فيها هذا المشروع، بأفكار مالك بن نبي في مجال النهوض الحضاري.

وفي العالم الإسلامي المالاوي كما يطلق عليه مالك بن نبي، وتحديدا في ماليزيا برز زعيمٌ سياسي فذ، استطاع خلال رئاسته للوزراء ما بين عامي ١٩٨٢ و٢٠٠٣ أن يقوم بنهضة اقتصادية كبيرة في ماليزيا، وأن يقفز بها إلى مصاف الدول المتقدمة، لم يكن مهاتير محمد مجرد زعيم سياسي، بل كان قائدا فذا وطبيبا وعالما، درس تاريخ الأديان والقرآن وتفسيره ،آمن بضرورة النهضة الإسلامية، لقد أوجد لنفسه مكانة كبيرة لدى الشعوب الإسلامية؛ وذلك بسبب نصرته لقضايا الأمة الإسلامية، وفي مقدمتها قضية فلسطين، ومن مآثير هذا الزعيم نشاطه الدؤوب من أجل وحدة المسلمين، والذي تجلى في مبادرته لوحدة إسلامية مع تركيا وباكستان، وبهذا استطاع أن يحيي حلم الوحدة الإسلامية من جديد، التي كانت حلم راود مالك بن نبي، وأفصح عنه في فكرة كومنلوث لإسلامي(٢٣).

انطلق مهاتير من الاستفادة من قيم الإسلام الحضارية لنهضة بلده، وكأنه يتمثل تطبيق نظرية المفكّر مالك بن نبي، التي تقول إن الإسلام هو محرّك النهضة، فطرحت ماليزيا مقاربة حضارية، ذات بعد ثقافي اجتماعي سياسي اقتصادي، تراهن على ترسيخ ممارسات ومبادئ ما يطلق عليه الإسلام الحضاري؛

بمعنى تطويع القيم الدينية الإسلامية ضمن البيئة الماليزية، بما يتوافق مع واقع التنوع العرقي والديني، ومن ثم فقد ظهر من هذا المنظور توجه سياسي راشد؛ لجعل التعاليم الإسلامية المرجعية الأساسية؛ ومواصلة بناء ماليزيا دولة متقدمة وقوية، منفتحة على خصوصية التنوع العرقي في داخلها من جهة، وكذلك السعي للتماشي مع التحديثات الكفيلة لإنجاح هذا المشروع الحضاري من جهة أخرى(٢٤). ولذلك أطلقت العنان لإنشاء المعاملات الإسلامية، واستحداث البنوك الإسلامية(٢٥).

وفي سعي القادة الماليزيين الدؤوب لنهضة بلادهم، كان عليهم أن يستحضروا نموذجا يحتذى به، فرأى مهاتير محمد في ضرورة استحضار التجربة اليابانية– وكأنه صدى لفكرة مالك بن نبي – في أهمية تمثل هذه التجربة لأي نهضة منشودة، فالحضارة كما يرى مالك لا يمكن استيرادها من بلد إلى آخر، رغم استيراد كل منتجاتها ومصنوعاتها؛ لأن الحضارة إبداع كما في التجربة اليابانية النموذجية، وليست تقليدا أو استسلاما وتبعية كما يظن الذين يقتصرون على استيراد الأشياء التي أنتجتها حضارات؛ كالتجارب الفاشلة التي تبناه المستغربون في عالمنا الإسلامي.

تمكنت ماليزيا في إعمال النظر في النموذج الياباني، حيث قام مهاتير بجولة استطلاعية إلى اليابان سنة ١٩٨١ ليتوصل إلى أن هذا النموذج المقترح، يتوافق مع تطلعات الماليزيين لبناء اقتصاد قوي.(٢٦)

وبهذا لم يراهن مهاتير على التجربة الغربية في إحداث النقلة النوعية لماليزيا رغم تفوقها؛ حيث تم التأكيد مرارا على عدم ملائمة الثقافة الغربية الصرفة المرسخة للنزعة الفردية للنموذج الماليزي، الذي ينبني على القيم المشتركة، والموروث والإخلاص للنظام والسلطة(٢٧). لقد ولى مهاتير وجهه شطر التجربة اليابانية، باعتبارها ولدت من العدم؛ وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، بعد أن

أنهكتها الحرب، وبدت حينها في حالة ميؤوس منها، وبدا النهوض بهذه الدولة المنكسرة مهمة شبه مستحيلة.

ولكن المعجزة اليابانية، رفعت شعارا أن المستحيل ليس يابانيا، فبعد سنوات من الكفاح والعمل، وصلت اليابان إلى مصاف الدول المتقدمة، وظلت منكفئة على ثقافتها في مواجهة التبعية الغربية، ولم تأخذ من الحضارة الغربية إلا النافع منها، لقد امتلكت اليابان معادلة تنمية سريعة و مضطردة، مع اعتمادها على الذات كشرط ضروري لإقلاع حضاري، والاستثمار المستمر الفاعل للإنسان، كما **غذت في الشعب الياباني النزعة القومية، على الرغم من أنها بُنيت على خلفية أسطورية**[٢٨].

وكأنَّ مهاتير محمد كان يتمثل أفكار مالك بن نبي حين أولى اهتماما بالتجربة اليابانية اهتماما خاصا، باعتبارها نموذجا ملهما للشعوب، التي ما زالت ترزح تحت نير التخلف، والتبعية والانحدار الحضاري.

ومن نافلة القول، إن مهاتير محمد حاضر في ملتقى عقد بقطر في سنة ٢٠١٩ بمناسبة مرور سبعين سنة مرت على صدور كتاب شروط النهضة، واتخذ المؤتمر شعارا بأن العالم الإسلامي لا زلنا لم يتفرغ بعد لدراسته، واستيعاب معانيه التي لا تزال بكرا.

وبهذا فإن النموذج الغربي، لم يكن الأيقونة المقدسة التي يجب التوجه إليها، باعتبارها الطريق الوحيد للخلاص في مشروع مالك بن نبي الحضاري لعالم الإسلام، ولم يكن كذلك مدرجا على أجندة مهاتير محمد في مشروع الإقلاع الحضاري لبلده؛ لأنه نموذج تغريبي، ينشد التبعية الحضارية ولا فائدة ترجو منه، بل إن خطره عظيم؛ حين يشيع في المجتمع المسلم ما يسميه مالك بن نبي

بالأفكار الميتة أو القاتلة، التي تقذف بها إليهم هذه الحضارة عن طريق مراصدها الفكرية، حتى يظلوا تابعين لا مبدعين، منفعلين لا فاعلين.

وهذا عكس ما فعلته النخبة المثقفة في اليابان التي كانت انتقائية في تعاملها مع الحضارة الغربية، واستطاعت أن تفرق بين ما هو صالح للاقتباس والاقتناء، لا بد منه ولا ضرر يخشى منه، وما هو طالح وخاص بالقيم والأخلاق الغربية التي تتعارض مع قيم الإنسان الياباني وأخلاقياته؛ لهذا نجد ابن نبي في كثير من مؤلفاته يُعلي كثيرا من شأن هذه التجربة؛ فقد كانت البداية الحديثة للمجتمع الإسلامي – في نظره – مواكبة لانطلاقة أخرى في اليابان؛ فالمجتمعان قد تتلمذا سويا في مدرسة الحضارة الغربية، واليابان الآن أضحت قوة اقتصادية عظمى. فالأفكار الميتة في الغرب لم تصرفها عن طريقها؛ فقد بقيت وفية لثقافتها و تقاليدها وتاريخها؛ فالبون شاسع إذن بين تعامل العالم الإسلامي مع الغرب، وتعامل اليابان معه؛ حيث أن هذا الأخير ترك القشور واهتم بالجوهر، فتمكن من اقتناء العلوم الغربية التي تمثل قوة الحضارة الغربية. دون أن يؤدي به ذلك إلى فقدان هويته، والسقوط في التبعية والتقليد. فإذا كان اليابان قد بنى مجتمعا متحضرا؛ فهو قد دخل الأشياء من أبوابها، وطلب الأشياء كحاجة، درس الحضارة الغربية بالنسبة لحاجاته، وليس بالنسبة لشهواته. فلم يصبح من زبائن الحضارة الغربية المستهلك غبر المنتج يدفع لها أمواله وأخلاقه.

هكذا انتهجت ماليزيا سياسة إنمائية فاعلة على خطى النموذج الياباني، بخطط مدروسة ومحكمة، مكنتها من تحقيق علامات نمو عالية، وأضحت واحدة من الدول التي حققت المعجزة الأسيوية ، فقد شهدت ومازالت تشهد قفزة تنموية هائلة في شتى المجالات، لقد كان لشخصية مهاتير محمد الكارزماتية **دور بارز في نهضة ماليزيا، طيلة مدة حكمه ١٩٨١-٢٠٠٣ في قدرته على إدارة الأزمات**

الداخلية، وكذلك بلورة التوجهات الكبرى للدبلوماسية الماليزية، حتى أضحى يمثل ظاهرة تعرف بمصطلح المهاترية التي تضمنت مبادئ حكمه لمدة ٢١ عاما[٢٩].

ولعل عودة المهاتيرية لقيادة ماليزيا، تعكس تطلعات الأجيال الجديدة لاستكمال المشروع النهضوي، والذي تمثل أساسا في الاعتماد على ثقافتها المحلية لبناء نهضتها، وتمكّنها من إنتاج فهم جديد لعلاقة الإسلام بالدولة، أسهم بقسط وفير من تحوّلها من دولة هشة هامشية، إلى دولة محورية فاعلة.

ووفقا لتقرير أعده البنك الدولي الشهير تحت عنوان المعجزة الأسيوية الصادر سنة ١٩٩٣ وضع ما سمي بمعجزة آسيا الكبرى شملت ثماني دول، وجدت ماليزيا نفسها ضمن الدول الأسيوية المزدهرة إلى جانب اليابان[٣٠].

ومن هنا يمكن القول أن ماليزيا استطاعت في غضون بضعة عقود، وبفضل استراتيجية فعالة، تمثلت في الاستثمار في الإنسان والتكنلوجية، وتوظيف الثقافة الإسلامية أحسن توظيف من أجل أن تنتقل بالمجتمع والاقتصاد إلى الريادة.

ثانيا ـ نهاية الشيوعية السوفياتية و صعود الصين الكونفشيوسية :

لم يغض مالك بن نبي النظر عن أهمية الماركسية، في تعبئة أتباعها في البداية، بطاقة إيجابية في زيادة الإنتاج، لكن سرعان ما تكاد تخبو نار تلك العزيمة وتضعف. وتنبؤه ليس كلاما عابرا، بل له أساس في سنن تاريخية، فقد استوحاه من تجربتين تاريخيتين: تجربة القرامطة، ونموذج المجتمع الذي ساد بلاد فارس قبل ظهور الإسلام، فتنبأ بأنه سيشهد المجتمع الشيوعي نفس مصير المجتمعات الشيوعية القديمة، على غرار القرامطة الذين انهار نظامهم، بعد أن هددوا الدولة العباسية، وهي في أزهى عصورها[٣١].

فالفكرة الماركسية دون غيرها، تحمل في طياتها عوامل فنائها؛ بفعل ما أطلق عليه ظاهرة الشيخوخة الاجتماعية وفتور الهمة والوهن، فإذا كان هذا الخطر يتهدد كل المجتمعات، فإن خطره بالمجتمعات الشيوعية أكبر، لأن الفكرة الشيوعية لا تستطيع أن تستمر في تغذية الطاقة الحيوية في الإنسان، وهذه الطاقة هي محرك الإنسان، وضامن فعاليته.

وفي الوقت الذي تحدث فيه عن سقوط الاتحاد السوفياتي، كان الاتحاد السوفياتي في أوجّ قوته، لكن بن نبي استطاع أنْ يتبيّن منذ زمن طويل علامات الانهيار، والحقيقة أن تنبؤات مالك تعود إلى الخمسينيات، بعد المؤتمر الذي هزّ الاتحاد السوفياتي، وأخرجه عن نهج ستالين. فقد رأى بن نبي في ذلك قطيعة إيديولوجية، مثل قطيعة صفّين، مسّتْ العالم الشيوعي الذي كان يشكو قبل ذلك من الانقسام إلى ثلاثة أقطاب: الاتحاد السوفياتي، الصين، ويوغسلافيا.

لقد انتقل المجتمع السوفياتي من مرحلة الروح إلى مرحلة العقل. وخروتشوف هو الذي تجرّأ على الاعتراف علناً بأن العامل الروحي وحده لا يكفي للتحفيز على العمل، وأن الاتحاد السوفياتي عليه أن ينفتح على العالم الرأسمالي حول الإنتاج الزراعيّ. وبن نبي عبر عن موقفه بأنه لم يكن راضيا عن هذا الانتقال من الفكرة إلى الشيء[٣٢].

تعززت قناعة بن نبي بأفول الاتحاد السوفياتي[٣٣] عندما أمعن النظر في محتوى التقرير الذي قدمته أكاديمية العلوم السوفياتية الشهيرة للقادة السوفيات بطلب من خروتشوف، تعترف الوثيقة بضعف في الطاقة الدافعة والفاعلة لدى جميع العمال في البلاد، هذه مصيبة كبيرة، ولكن المصيبة الأخطر في بن نبي هي توصية الأكاديمية العلوم بمعالجة هذا العجز بمحفز مادي، علق بن نبي على ذلك بقوله: إنه أخطر علاج الداء بالداء[٣٤]. وبعد أن وافق المؤتمر الواحد والعشرون

للحزب الشيوعي الذي انعقد عام ١٩٦٥ على مقترحات الأكاديميين، فكانت إيذانا لدى مالك بن نبي، بأن الشيوعية تحتضر وأن ساعتها قد قربت(٣٥).

وتفسير موقف بن نبي هذا ينطلق من فكرة أن المجتمع السوفياتي خضع للمطالب والحقوق، على حساب الواجبات وهو في طور الميلاد.

ويذكر بن نبي أن ماوتسيتونغ، خالف الزعماء السوفييت، حين منع العمال من زيادة حصة الأرز، مفضلا مواصلة البذل والعطاء قبل تلبية المطالب؛ لأن الهدف تعزيز النمو الاقتصادي بسواعد وطنية، ولنرى أن هذا البلد الذي كانت المجاعات الدورية تحصد ملايين البشر، يصدر الأرز مع كثافة السكان الصينيين، ورغم أن جزء غير قليل من التراب الصيني عبارة عن صحاري وأراضي مالحة وقلوية(٣٦).

يعتبر مالك بن نبي الاستثمار الاجتماعي شرطا أساسيا للإقلاع الاقتصادي(٣٧)، فالقضية إذن بالنسبة للدول النامية ليست مسألة إمكانات مالية، وإنما قضية شحن للطاقة الاجتماعية، تدفع بها إرادة حضارية. فمالك بن نبي توصل إلى أن الإمكان الاجتماعي، هو الذي يحدد مصير الشعوب والدول. ومالك في حديثه عن تعثر التنمية في العالم العربي ربطه باعتماد خطط التنمية على أساس الاستثمار المالي، على عكس ما قامت به الصين حققت تقدما اقتصاديا، بعد أن طبقت مبدأ الاعتماد على الذات، أي الاستثمار الاجتماعي في ثقافتها القومية التي تمثلت في الثقافة الكونفشيوسية(٣٨).

ثالثا ـ سقوط الرأسمالية والمستقبل للفكرة الدينية:

استوعب مالك بن نبي الحراك الحضاري الحاصل ورصد معالمه وقضاياه؛ كمشكلات فلسفة التاريخ، وقضايا التقدم والتخلف في صيرورته، وإمكانية التنبؤ بنهايات مصيرية.

ولا غرابة، أن يتأثر بمحيطه البيئي وموروثه الثقافي؛ فالإنسان ابن عوائده، لذلك برزت منه مقولات، قال بها فلاسفة قبله. ذلك لأن النظرية لا تُؤَسَس إلا كامتداد لنسق نظري قبلها، في عصر شهد اهتماما متزايدا بخطابات ومقولات استشرافية، تتنبأ بسقوط الغرب، وموت الإله، والوصول إلى الإنسان الأعلى، ونهاية الإيديولوجيات.

ومما يسجل لمالك، أنه تحدث باستفاضة وبمنهجية سليمة عن الحضارة و التاريخ والمجتمع، لا تقل أهمية عن ما قدمه من سبقه من أساطين فلسفة الحضارة، هؤلاء عبّدوا الطريق المعرفي والابستيمولوجي الذي انطلق منه بن نبي ليؤسس نظريته في الحضارة، وليس من شك أن ما قدمه بهذا الخصوص اعتبر غريبا عن مجتمعه، حيث كتب بلغة جديدة عن هذا المجتمع المسلم؛ ليصفه و يحاول ايجاد آليات تجعله ينهض. وفي خضم دراساته الاستشرافية الحضارية، لم يكن مقلدا ناقلا، بل ناقدا ومقوما لآراء الفلاسفة الذين سبقوه، وكان ألمعيا في نقده للمناهج التي تناولت دراسة الحضارات و الدراسات التاريخية.

تحدث مالك عن الإمكان الحضاري وتحققه مستقبلا، وأن الإنسانية ليست مؤهلة في ظل الحضارة الغربية، أن ترتقي إلى هذا الإمكان، فالحضارة الغربية آلية للسقوط؛ لأنها أعلت من الجانب المادي على الجانب الروحي.

يعترف مالك بن نبي بأن الدين المسيحي كان له عظيم الأثر بدءا في نفوس المسيحيين؛ في شحذ الهمم والإرادة القوية، وسحق الانحطاط، والإقبال على النهضة بعزيمة، فتحقق الانفجار المعرفي والتكنولوجي، وأهم هذه المؤشرات، أن قفزت المعرفة التكنولوجية في العشرين سنة الأخيرة على كل ما عرفته البشرية في تاريخها، فصنع الانفجار حضارة عالمية غير مسبوقة، امتدت في المكان امتدادا لا نظير له في حضارات سابقة، لكن المسيحية عاجزة عن

مواكبة هذا التطور الغربي، لما تحمله من قصور ذاتي، لا يستجيب للعقل الغربي المتطور. وهنا يبدو الغرب آليا للسقوط عند مالك بن نبي، وليس هو بدعا من ذلك، فقد شارك هذه الفكرة جل المفكرين الغربين الذين حذروا من سقوط الحضارة الغربية.

رأيُ مالك له وجاهته، حين يركز على أن الإمكان الحضاري يتحقق في الباعث الروحي المنبثق من الإيمان، وما مدى استجاباته لتحديات العلم، وما يسديه من راحة وطمأنينة نفسية.

فالعامل الديني هو عامل حاضر في المستقبل وداخل في مكونات المعادلة الحضارية لا يرتبط بلحظة زمنية ما ولا بخصوصية مكانية ما وإنما منفتح على المستقبل، يقول: "فإن قوة التركيب لعناصر الحضارة خالدة في جوهر الدين، وليست ميزة خاصة بوقت ظهوره في التاريخ، فجوهر الدين – حسب العبارة الشائعة– مؤثر صالح في كل زمان ومكان"(٣٩).

يؤمن مالك بأن المشاكل العالمية، ليست ذات طابع اقتصادي، وليست ذات طابع سياسي إلى حدّ كبير، ولا ذات طابع اجتماعي، وإنما المشكلات التي ستواجه العالم مستقبلا، ذات طابع نفسي.

وهذا يخالف ما يذهب إليه مؤسس نظرية نهاية التاريخ المفكر الاستراتيجي الإمر يكي فوكوياما، فيرى أن السر يكمن في ما سماه بالجن التكنولوجي المذهل المتولد عن العلم لا الدين، كما يؤكد في كتابه نهاية التاريخ أن المجتمعات التي لا تملك الجن التكنولوجي محكوم عليها بالاندثار(٤٠)، والذوبان في النظام العالمي الجديد. وهذه الرؤية متغلغلة في كثير من النظم الفلسفية ولم تكن نظرية نهاية التاريخ جديدة في الفكر الغربي، بل هي حصيلة تراكمات طويلة أفضت إلى هذه النسخة الجديدة، والتي تعتبر الرأسمالية الليبرالية خاتمة التطور الأيديولوجي

للإنسانية، والصورة النهائية لنظام الحكم البشري، وبالتالي هي تمثل نهاية التاريخ، مع هيمنة النموذج المتمركز حول الطبيعة والمادة.

ومقتضى أطروحة فوكوياما إعلان نهاية الإنسان وانتصار المادة، ومعناه تحول العالم بأسره إلى كيان خاضع للقوانين الواحدية المادية التي تجسدها الحضارة الغربية، والتي لا تفرق بين الإنسان، والأشياء، والحيوان، فنهاية التاريخ هي في واقع الأمر نهاية التاريخ الإنساني وبداية التاريخ الطبيعي(٤١).

هذا ما يعمد الفكر الغربي بثه ونشره بكل الوسائل، لكن الواقع الفعلي يعارض ذلك، نجد العودة إلى الدين والقيم الأخلاقية أضحى مطلبا عالميا وأمرا محتوما للانعتاق من هذه الغطرسة المادية الغليظة، إن هذا الإفلاس الغربي الذي نحياه وما تبعه من أزمات، شاهد على ما حذر منه مالك بن نبي، ونخبة من علماء الحضارات من قبله وبعده.

هذه الرؤية الاستشرافية كما يذكر المفكر التونسي حميدة النيفر، تجعلنا– حين نقرأ كتب مالك– ندرك الخصائص الثلاث الكبرى لهذا المفكر: الرؤية النقدية، والديناميكية الفاعلة مع الآخر، وأهمية الفكر الرابط بين العوالم، الرافض للحدود في مجالي المعرفة والإبداع(٤٢). لقد راهن بن نبي على الظاهرة الدينية كبديل للظاهرة المادية أو الجنسية، لما يحمله الدين من أبعاد حضارية ونفسية وتاريخية.

رابعًا ـ التاريخ المفتوح وبطلان فكرة نهاية التاريخ:

تقوم فلسفة مالك بن نبي التاريخية على التدافع، لأن فلسفة الدورة الحضارية لا تُؤمن بفكرة نهاية التاريخ، بل تحاول أن ترسخ فكرة التداول، كقاعدة عامة، تخضع لها كل من الدولة والحضارة.

وعليه، نلاحظ أن مالك بن نبي لا يؤمن بفكرة الرجل السيد الأخير، أي نهاية التمركز الغربي. إنّ استراتيجية البناء الحضاري في فلسفة مالك بن نبي تُفند كليًا ومطلقًا ما تبثه النزعة المركزية، من اعتبار الحضارة لصيقة بعنصر بشري معين، وبجنس محدد، له خصائصه البيولوجية، لا توجد في غيره، وهي تقتصر عليه وحده، وإن لاحت معالم التحضر خارج هذا الجنس، فإنّها جاءت نتيجة التأثير والتأثر لا بفعل الذات والإبداع.

تعتمد أطروحة نهاية التاريخ التي نادى بها فرانسيس فوكوياما Francis Fukuyama على أن الديمقراطية الليبرالية تشكل آخر حلقة في التطور الأيديولوجي للإنسانية، والصورة النهائية لنظام الحكم البشري، وبالتالي هي تمثل نهاية التاريخ بعد انهيار الإيديولوجيات المغايرة.

وهذا عكس ما يذهب إليه بن نبي الداعي إلى تبني فكرة التاريخ المفتوح، انطلاقا من المبدأ القرآني القائل بسنة التّداول، بينما فوكوياما يدعو إلى الإيمان بفكرة التاريخ المغلق. أو ما عبر عنه صموئيل هنتجتون Samuel Huntington أن مآل الحضارات هو التصادم، لقد مثلت أطروحات فوكويوما وهنتجتون الأسس التي تبنتها السياسة الخارجية الأمريكية وصاغت أهدافها في ضوئها، وأسهمت في تشكيل معالم نظرية جديدة متشائمة في مصير الإنسانية، عرفت بنظرية الفوضى الخلاقة؛ تحقيقا لفكرة الغطرسة الشاملة(٤٣).

قدّمت نظرية مالك بن نبي خطابا تفاؤليا عن التاريخ والمستقبل، وورسمت صورة مُبشرة لإنسان الغد، في إطار مجتمع إسلامي عالمي وحضاري، لا يقوم على الإقصاء والعنف، بل يقوم على مبدأ الكرامة والحرية كحقل للتعارف والتعايش.

يحاول ابن نبي في استشرافه لإنسان المستقبل، أن يكون إيجابيا فعالا عامرا للكون، رافضا الهمجية والفوضى التي تعطي إنسانا تائها، كما نادى به فوكوياما ونتجتون، ويدعو إلى التحلي بصفتين قرآنيتين الرشاد و الشّاهدية.

هكذا نجد نظرية نهاية التاريخ تحمل نزعة تشاؤمية عن الإنسان والتاريخ، وهذا ما يعترف به فوكوياما في قوله :" يمكن القول في ثقة بأن القرن العشرين قد غرس فينا جميعا تشاؤما تاريخيا عميقا."[٤٤] إذ يعتقد أن دولة الخير ذات النظام الليبرالي، ستشهد في داخلها تيارات معادية لها، خاصة الديانات المناوئة للمعاصرة، والنّحل الداعية إلى الفوضى والعنف. ولذلك مالك بن نبي يبشر بعصر جديد تدخله البشرية، هو عصر الانعتاق والتحرر من مرض الشيئية.

خامسًا- نحو دور ريادي للإسلام والعالم الإسلامي في تحقيق التعايش الحضاري المنشود.

رسم مالك بن نبي مالك بن نبي صورة تفاؤلية لإنسان الغد في إطار مجتمع إسلامي عالمي وحضاري لا ينبني على العنف، بل ينبني على مبدأ الكرامة والحرية، ومبدأ التعارف والتعايش. وإن أحداث القرن العشرين كانت تتراوح قيادتها بين واشنطن وموسكو في أغلب الأزمان المتعاقبة، وكان من المنطق أن يأفل نموذج من الاثنين، مما جعل أغلب الدراسات المستقبلية تتنبأ بسقوط النموذج الشيوعي، ويعني من منطق فلسفة التّاريخ ضرورة بروز نموذج جديد يكون بمثابة النقيض للنموذج الرأسمالي المهيمن.

ومن هذا المنطلق، نلاحظ أن مالك بن نبي في جل كتبه، يتنبأ ببروز الإنسان الشّاهد، جاعلا من القرن القادم موعدا لميلاده وانبعاثه. ويكون بذلك مالك بن نبي قد سبق بعض الأطروحات اللاحقة التي تنبأت بظهور نماذج جديدة، يقول مالك بن نبي في مسالة المستقبل: "إن الغيب بيد الله ... إننا نقدر من الأمور أبسطها. لا شك أن كل التّطورات تنبع من هذا وذاك. من التخلف والتقدم الحاصل لمرض الروح والنفس. وكل الأحداث التي سوف يعرفها عالمنا في الثلاثين سنة المقبلة ستكون نتيجة التفاعل بين التخلف المادي (العالم الإسلامي) والتخلف الروحي (العالم المصنع). هذه صورة المشكلة العالمية بوجهيها. الصنف الاجتماعي والاقتصادي (ونتائجه في المجال النفسي) والصنف الروحي (وجوهر

مشاكله روحية) هذه هي الخريطة العالمية التي سيحدث إن شاء الله في نطاقها التفاعل بيننا وبين الآخرين وبينهم وبيننا."[٤٥]

انتصر مالك بن نبي للفكرة الدينية مستقبلا، ولكن ما هو الدين الذي يمكن أن يكون ملاذا للإنسانية التائهة، إن الأديان الوضعية عاجزة عن الاضطلاع بهذا الدور، وحتى المسيحية ديانة الغرب عجزت عن مواكبة التطور العلمي الحاصل في الغرب، واليهودية ديانة مغلقة، إلى جانب دورها السلبي عند تحالفها مع الرأسمالية، ويبقى الدين الوحيد وهو الإسلام، القادر على تحقيق ذللك إذا تمثل أتباعه شروطه الحضارية.

ويستدل مالك على أطروحته تلك، بموقع العالم الإسلامي الجغرافي والتاريخي في العالم القديم، وموقعه الجيوسياسي الجديد في العالم الأفرو سيوي من جهة، والإسلام كدين، يحمل في طياته قيم السلام والتعايش بين الشعوب.

فمن ناحية تأثيره الروحي وموقعه الجغرافي، نسجل توسطه للعوالم التقليدية الثلاث، أوروبا وآسيا و إفريقيا، بما يمتاز به هذا التوسط من عناصر التقاء وتشابه بالمكونات الروحية لهذه العوالم، وقد سبق له أن تعايش معها في فترات تاريخية طويلة، ومنه يتمتع الإسلام بهذه الخاصية المشتركة مع جميع الثقافات التي تؤلف الخريطة الروحية في العالم، فهو في مركزه في البحر المتوسط يقع في قلب عالم اليهودية والمسيحية، الذي يشترك معه في رسالة إبراهيم، وهو في إطلاله على تخوم آسيوية، يقع في قلب عالم الأديان الوضعية وفكرة بوذا وحكمة كونفشيوس، وهو في إفريقية الوسطى على صلاة مع النفس الإنسانية الفطرية[٤٦].

هذا الموقع يؤهل الإسلام إلى القيام بدور كبير في العودة بالإنسانية إلى قيم التعايش والسلام، بعد الإفلاس الذي خلّفه الضمير الأوروبي في قيمه الدينية والأخلاقية، تحت تأثير الرأسمالية المتوحشة، وبهذا اعتبر الإسلام الجسر مفترق قطر تلتقي عنده الأجناس والثقافات، فهو عامل جوهري في تكوين مركب حضارة أفروأسوية، ومستقبلا في تكوين حضارة عالمية.[٤٧]

وعن التغلب على مشكلة العنف، يرى بن نبي أنها وليدة السيطرة الغربية وإقصائها لثقافات، ويرى أن الإسلام كفيل بتجاوز مشكلة الهيمنة والغطرسة، باعتباره خير منقذ، لامتلاكه صفتين ضابطتين، تعصمه من الشطط والزلل، هما:

١- تأمين الضمير من الهيمنة الزمنية : بإرساء القرآن في الضمير المسلم تحديدا جوهريا لإرادة القوة، ولم يدع في ذلك أي لبس أو غموض، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة (تلك الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)[٤٨].

٢- تأمين الإنسان من الطغيان الروحي، وهذا ما قصدته الآية القرآنية في قوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)[٤٩].

وقد أبعدت هاتان الصفتان بين الإسلام وبين اعتماد مبدأ الغطرسة، يقول مالك بن نبي ولو أننا عدنا إلى الماضي لأدركنا أن الحكم الإسلامي، قد اتبع تقريبا في هذا المجال طريقا في هذا المجال طريقا وسطا بين هذين المبدأين، اللذين كانا بمثابة حاجز يحول بين تطوره وبين يغرق في إرادة القوة... فإذا كان المبدأ الأول قد حدد نتائجه في الإطار الزمني، فإن المبدأ الثاني قد حددها في الإطار الروحي)[٥٠].

لقد عجز الضمير الغربي عن تمثل مبادئ حقوق الإنسان التي أوجدها هو، وأقام لها منظمات لحمايتها؛ لعدم وجود دافع من ثقافته يدفعه إلى ذلك. وبالمقابل فإن الإسلام يأتي بالمبرر الروحي الذي يتيح للإنسانية من تمثل هذا الأمر في سلوكها، وهذا انطلاقا من تكريمه للإنسان كقيمة مطبقة؛ مهما كان جنسه أو لونه أو اعتقاده، ولكي يقوم الإسلام بدوره العالمي هذا، وجب عليه تفعيل نظام اجتماعي، كما يخضع إليه جميع إمكانياته الطبيعية، بحيث يحول هذه وتلك، إلى حلول مادية للمشكلات التي تواجهه في الإطار الأفروآسيوي، وفي الإطار الإنساني[٥١].

الخاتمة

في الختام، يمكن التأكيد على أن ما يطمح إليه هذا البحث، هو لفت الأنظار، وشحذ الهمم، نحو الاهتمام بالدراسات المستقبلية في عالمنا الإسلامي، وتسليط الضوء على هذا النوع من الدراسات لأحد أقطاب الفكر الإسلامي المعاصر، فبصمته في الدراسات المستقبلية واضحة للعيان في مصنفاته الزاخرة.

إن استشراف مالك بن نبي للمستقبل، والتنبؤ به، وبيان وجهة العالم الإسلامي، بلغ من الثراء أوجه، وإن لم ينل حظه من الاهتمام في العالم الإسلامي، لقد أفلح مالك بن نبي في بيان مسؤوليته أمام مجتمعه، إنها مهمة الوعي واستشراف المستقبل والارتقاء الفكريّ إلى مستوى الأحداث الإنسانية. ولذلك تزداد أهمية الاهتمام بمالك بن نبي في نظرته إلى المستقبل ومحاولة استشرافه والتنبؤ؛ لصدق بعض توقعاته، مِمَّا ينم عن نفاذ بصيرته في دراسة واقع العالم ومستقبله.

ومما يسجل لمالك بن نبي، أنه أسهب الحديث في تنبؤاته و استشرافاته، وبمنهجية سليمة عن الحضارة و التاريخ والمجتمع، لا تقل أهمية عن ما قدمه من سبقه من علماء فلسفة الحضارة، فلم يكن مقلدا ناقلا، بل ناقدا ومقوما لآراء الفلاسفة الذين سبقوه ، وكان ألمعيا في نقده للمناهج التي تناولت دراسة الحضارات والدراسات التاريخية، وهو بهذا يفتح الأبواب على مصراعيها أمام مرحلة جديدة للنهوض بشكل جدي ومؤسس لعلم المستقبليات في العالم الإسلامي، ليست حديث أمانى وآمال، أو حديث توقعات ونبوءات، تكرارا لكل الصيغ الجاهزة في هذا المجال، بل إنها تحيين لأسئلة المستقبل بنظر عميق وعمل دقيق، حديث علم ومعرفة، أساسها الإيمان لتحقيق الاستخلاف والعمران، ضمن الصلة الوثيقة بين حياة الإنسان الدنيوية بحياته الأخروية.

لقد أنتجت نظرية مالك بن نبي خطابا تفاؤليا عن التاريخ والمستقبل، و رسمت صورة مُبشرة لإنسان الغد، في إطار مجتمع إسلامي عالمي وحضاري، لا يقوم على الإقصاء والعنف، بل يقوم على مبدأ الكرامة والحرية والتعارف والتعايش.

خلص مالك إلى إمكانية التحقق الحضاري مستقبلا، وأن الإنسانية ليست مؤهلة في ظل الحضارة الغربية، أن ترتقي إلى هذا الإمكان، فالحضارة الغربية آلية للانهيار؛ لأنها أعلت من الجانب المادي على حساب لجانب الروحي.

واشترط في تحقيق الإمكان الحضاري أن يكون الباعث الروحي منبثقا من الإيمان الخالص وما مدى استجاباته لتحديات العلم، و ما يسديه من راحة وطمأنينة نفسية، فالعامل الديني هو عامل حاضر في المستقبل وداخل في مكونات المعادلة الحضارية لا يرتبط بلحظة زمنية ما، ولا بخصوصية مكانية ما، وإنما منفتح على المستقبل.

هذا الموقع يؤهل الإسلام إلى القيام بدور كبير في العودة بالإنسانية إلى قيم التعايش والسلام، بعد الإفلاس الذي خلّفه الضمير الأوروبي في قيمه الدينية والأخلاقية، تحت تأثير الرأسمالية المتوحشة، وبهذا اعتبر الإسلام الجسر مفترق قطر تلتقي عنده الأجناس والثقافات، فهو عامل جوهري في تكوين مركب حضارة أفروأسوية، ومستقبلا في تكوين حضارة عالمية.

وفي الأخير ينبغي التأكيد على أننا حاولنا في هذا البحث بسط أهم الآراء المستقبلية التي تبناه مالك بن نبي، ومحاولة تقييمها، وهدفنا أننا نفتح المجال للاهتمام والعناية بالدراسات المستقبلية في الفكر الإسلامية ومحاولة تأصيله، و نهيب بالجامعات ودور البحث في عالمنا الإسلامي في تحمل مسؤولياتها، في إثراء الوسط البحثي والأكاديمي، بدراسات علمية رصينة في الدراسات المستقبلية، والتي أضحت صناعة أكاديمية ونشاطا علميا قائما بذاته، وهي دعوة إلى استنهاض الهمم، واستثارة العقول، بالعناية بالدراسات المستقبلية في عالم إسلامي حظه فيه يسير.

الهـــوامش

(١) إيجناس جولد زيهر، العقيدة والشريعة، ترجمة محمد يوسف موسى، القاهرة المركز القومي للترجمة ط٢٠١٣، ص ٣٠.

محمد مصطفى شلبي، الفقه الإسلامي بين المثالية والواقعية، بيروت: الدار الجامعية، ١٩٨٢، ص ١٣-١٤

(٢) سورة نوح، آية ٢٧.

(٣) سنن أبي داود/ ٤٢٩٧، مسند أحمد/ ٢١٨٩٠، مسند أبي داود الطيالسي/ ١٠٨٥

(٤) رشيد رضا، تفسير المنار، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية ط ١٩٧١، ج ٧ص ٤١١.

(٥) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧١ج ٣ص ١٢٣.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه، ج٤، ١٩٤.

(٨) الجويني عبدالملك، غياث الأمم في التيات الظلم، تحقيق هيثم خليفة الطعيمي، بيروت: المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٦م، ص ٢٤١.

(٩) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبدالواحد وافي، القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٤ج١، ص٣٢١.

(١٠) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٠٩.

(١١) محمود عبد الفضيل،" الجهود العربية في مجال استشراف المستقبل" نظرة تقويمية"، عالم الفكر المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، يناير – مارس ١٩٨٨، ص ٥١-٧٢.

(١٢) دعوة إلى مشاركة كل التخصصات في رؤية مستقبلية لأروبا ، يبدأ في عام ٢٠٢٠ ويستمر لمدة عامين. هذا المؤتمر، الذي سينظمه البرلمان والمجلس والمفوضية الأوروبية حيث يهدف إلى إشراك عينة تمثيلية من وبالتالي إعطاء المواطنين الأوروبيين فرصة للمساهمة في إصلاح الاتحاد الأوروبي.

Europe, FUTURIBLES JOURNAL N° 435 26 FEB 2020 DREVET JEAN- FRANÇOIS The Conference on the

(١٣) عبدالباسط عبد المعطي، الدراسات المستقبلية المتطلبات والجدوى العلمية والمجتمعية، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية – [من ١٩٨٩ الى ٢٠٠٤] جامعة قطر، ص ٥٣ أنظر الرابط: https://qspace.qu.edu.qa/handle/10576/1151?locale-attribute=ar

(١٤) المرجع نفسه.

(15) Hugues de Jouvenel : La démarche prospective. Un bref guide méthodologique. Revue Futuribles (n° 247, novembre 1999), mise à jour 2002. P 2 – 3

(١٦) محمد مبارك، المجتمع الإسلامي المعاصر، (دار الفكر بيروت، لبنان) ص١٠٦.

(١٧) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة عمر كامل مسقاوي، دمشق: دار الفكر للطباعة، ط١، ١٩٨٨، ص١٢٨.

(١٨) مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين دمشق: دار الفكر ١٩٨٥، ص١٩-٢٠.

(١٩) جودت سعيد، مذهب ابن آدم الأول، بيروت : دار الفكر المعاصر،١٩٩٣ ط٥ ص١٥،١٤

(٢٠) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبدالصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٢.

(٢١) المرجع نفسه، ص ١٨٣.

(٢٢) المرجع نفسه، ص ١٨٢.

(٢٣) سهام الدريسي، عودة المهاتيرية الأحزاب والتيارات السياسية في ماليزيا بعد انتخابات ٢٠١٨، ماليزيا: مركز الفكر الإستراتيجي للدراسات، ط١، ٢٠١٩، ص ٣١-٣٢

(٢٤) المرجع نفسه والصفحة.

(25) 9 - Lafaye de Micheaux E, Malaisie, un développement souverain, Lyon : ENS éditions, 2012, pp 157-163

(٢٦) طبيب في رئاسة الوزراء، مذكرات الدكتور مهاتير ترجمة أمين الأيوبي، ط١ الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ٢٠١٤ص ٤٤٧

(٢٧) سهام إدريس، المرجع السابق، ص ٥٨

(28) Jacques Leclerc, La politique linguistique japonaise, Université Laval Québec, voir: http://www.axl.cefan.ulaval.ca/index.html.

(٢٩) محمد خليل محمود محمد، المشروعات الصغيرة. مدخل للتنمية المستدامة دراسة التجربة اليابانية، مصر: دار حميثر للنشر ، ٢٠١٨، ص ١٢٩.

(٣٠) المرجع نفسه والصفحة.

(٣١) نور الدين خندودي، نظرات في النهضة الاقتصادية عند مالك بن نبي، ١٤٠-١٤٣ مؤتمر مالك بن نبي واستشراف المستقبل ج ١، بحوث الملتقى الدولي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تلمسان سنة ٢٠١١ عالم الاقتصاد ص ٨٩.

(٣٢) المرجع نفسه.

(33) N.khendoudi: Quelques anticipations de malek bennbi- el watan 08 mai 2010

(٣٤) المرجع نفسه.

(٣٥) المرجع نفسه.

(٣٦) نورالدين خندودي، ، المرجع السابق والصفحة.

(37) Malek Ben Nabi, Pour Changer l'Algérie Alger. société d'édition et de communication, 1989, p: 113

(٣٧) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٢ ط٤، ص ٧٦.

(٣٨) المرجع السابق، ص ١٠.

(٣٩) مالك بن نبي، شروط النهضة الحضارية، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، دمشق: دار الفكر، إصدار ندوة مالك بن نبي ص٥٨.

(٤٠) فوكو، ياما (فرانسيس)، نهاية التاريخ، ترجمة: حسين أحمد أمين، مؤسسة الأهرام، ط١، ١٩٩٣، ص ٢١٠. ص ١٢٣.

(٤١) عبدالوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دمشق، دار الفكر، ط١ ٢٠٠٣م، ص١٥٥-١٦١.

(٤٢) حميدة النيفر، بن نبيّ والتجديد المغاربي.. "المريد" الخلدوني (٣/٣) حميدة النيفر، الفجر نيوز يوم ٠٣ - ١٢ - ٢٠٠٩.

https://www.turess.com/alfajrnews/23239

(٤٣) نصار الربيعي، دور الهيمنة الأمريكية في العلاقات الدولية، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١ ٢٠١٣ ص ٣٦.

(٤٤) فوكوياما، المصدر السابق، ص٢١.

(٤٥) نص مقتبس من حوار أجراه مالك بن نبي في مجلة العلم والإيمان التونسية قبل وفاته بشهر تحية عنوان (الوصية)، ولم تنشره المجلة إلا في سنة ١٩٨٠، ص ٢٤ و٢٥.
نقل من: عبدالقادر بوعرفة، الأموات لا يفكرون للأحياء، بل الأحياء يفكرون من خلال تركة الأموات، الملتقى الدولي: مالك بن نبي و استشراف المستقبل، من شروط النهضة إلى شروط الميلاد الجديد في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية تلمسان ١٢ . ١٣ . ١٤ ديسمبر ٢٠١١م.
أنظر الرابط: http://binnabi.net/detail/1796

(٤٦) مالك بن نبي، الفكرة الإفريقية والأسيوية، ص ٢٢٧.

(٤٧) المصدر نفسه، ص ٢٢٧.

(٤٨) سورة القصص، آية ٨٣.

(٤٩) سورة البقرة، آية ٢٥٦.

(٥٠) مالك بن نبي، المصدر السابق، ٢٣٢-٢٣٣.

(٥١) المصدر السابق، ص ٢٣٧.

المراجع:

١- المراجع باللغة العربية:

- إيجناس جولد زيهر، العقيدة والشريعة، ترجمة محمد يوسف موسى، القاهرة المركز القومي للترجمة ٢٠١٣م.
- ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبدالواحد وافي، القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٤ م.
- جودت سعيد، مذهب ابن آدم الأول، بيروت : دار الفكر المعاصر،١٩٩٣م، ط٥.
- الجويني عبدالملك، غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق هيثم خليفة الطعيمي،بيروت: المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٦م.
- حميدة النيفر، بن نبيّ والتجديد المغاربي.. "المريد" الخلدوني (٣/٣) حميدة النيفر، الفجر نيوز يوم ٠٣ - ١٢ - ٢٠٠٩م.
- رشيد رضا، تفسير المنار، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠٠٢م.

- سهام الدريسي، عودة المهاتيرية الأحزاب والتيارات السياسية في ماليزيا بعد انتخابات ٢٠١٨، ماليزيا: مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، ط١، ٢٠١٩م.
- الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧١.
- طبيب في رئاسة الوزراء، مذكرات الدكتور مهاتير، ترجمة أمين الأيوبي،ط١ الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ٢٠١٤.
- عبد القادر بوعرفة، الأموات لا يفكرون للأحياء، بل الأحياء يفكرون من خلال تركة الأموات، الملتقى الدولي: مالك بن نبي واستشراف المستقبل، من شروط النهضة إلى شروط الميلاد الجديد في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية تلمسان ١٢ . ١٣ . ١٤ ديسمبر ٢٠١١ م.
- عبدالباسط عبد المعطي، الدراسات المستقبلية المتطلبات والجدوى العلمية والمجتمعية، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية – [من ١٩٨٩ الى ٢٠٠٤] جامعة قطر
- عبدالوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دمشق، دار الفكر، ط١ ٢٠٠٣م
- فوكو، ياما فرانسيس، نهاية التاريخ، ترجمة: حسين احمد أمين، مؤسسة الأهرام، ط١، ١٩٩٣ م.
- نصار الربيعي، دور الهيمنة الأمريكية في العلاقات الدولية، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١ ٢٠١٣ م.
- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة عمر كامل مسقاوي، دمشق: دار الفكر للطباعة، ط١، ١٩٨٨.
- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م.
- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبدالصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٢م.
- مالك بن نبي، الفكرة الإفريقية والأسيوية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر،٢٠٠١م،
- مالك بن نبي، شروط النهضة الحضارية، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، دمشق: دار الفكر، إصدار ندوة مالك بن نبي.
- مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، دمشق: دار الفكر، ط٤، ٢٠٠٢م.

- محمد خليل محمود محمد، المشروعات الصغيرة ..مدخل للتنمية المستدامة دراسة التجربة اليابانية، مصر: دار حميثر للنشر ، ط٣، ٢٠١٨م.
- محمد مصطفى شلبي، الفقه الإسلامي بين المثالية والواقعية، بيروت: الدار الجامعية، ١٩٨٢م.
- محمود عبد الفضيل،" الجهود العربية في مجال استشراف المستقبل" نظرة تقويمية"، عالم الفكر المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، يناير – مارس ١٩٨٨م.
- محمد مبارك، المجتمع الإسلامي المعاصر، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٢م.
- نور الدين خندودي، نظرات في النهضة الاقتصادية عند مالك بن نبي، موقع فيلسوف الحضارة مالك بن نبي، أبريل ٢٠١٣ .

٢– المراجع باللغة الفرنسية:

- Hugues de Jouvenel : La démarche prospective. Un bref guide méthodologique. Revue Futuribles (n° 247, novembre 1999),
- Europe, FUTURIBLES JOURNAL N° 435 26 FEB 2020 -DREVET JEAN-FRANÇOIS The
- N.khendoudi: Quelques anticipations de malek bennbi- el watan 08 mai 2010 -
- N.khendoudi: Quelques anticipations de malek bennbi- el watan 08 mai 2010 du
- Malek Ben Nabi, Pour Changer l'Algérie. Alger : société d'édition et de communication, 1989
- Lafaye de Micheaux E, Malaisie, un développement souverain, Lyon: ENS éditions, 2012

٣– المواقع الإلكترونية:

- https://qspace.qu.edu.qa/handle/10576/1151?locale-attribute =ar
- https://www.binnabi.net/detail/1788/
- https://www.turess.com/alfajrnews/23239
- http://binnabi.net/detail/1796
- http://www.axl.cefan.ulaval.ca/index.html.